

الحكم، اعتدالاً، في إسرائيل.

وعلى الرغم من نجاح إسرائيل في كسب كل حروبها مع العرب، وتمكنها من الاستيلاء على المزيد من الأراضي العربية، ومصادرة الكثير من الحقوق الفلسطينية، وحمل نظام حكم الرئيس المصري انور السادات على توقيع معاهدة صلح منفرد، إلا أنها فشلت، فشلاً ذريعاً، في تحقيق السلام الذي تريده مع الشعوب والدول العربية. وفي الحقيقة يبدو الكيان الصهيوني اليوم، وربما أكثر من أي وقت مضى، أبعد ما يكون عن التمتع بشمار انتصاراته العسكرية، وأضعف ما يكون على مواجهة تحديات السلام مع الفلسطينيين.

وبعد قيام إسرائيل بغزو لبنان في صيف العام ١٩٨٢، ونشلها في إعادة ترتيب الإوضاع السياسية فيه كما يحلو لها، وذلك على الرغم من نجاحها في كسب المعركة العسكرية، اتضح حقيقة وإبعاد حدود القوة الإسرائيلية، العسكرية والسياسية، إذ أن فشل إسرائيل في فرض شروطها على أضعف دولة عربية، وتزايد موجة الرفض داخل المجتمع الإسرائيلي لبررات ونتائج حرب هجومية غير ضرورية، من ناحية، وتفاقم المشاكل الاقتصادية والمالية التي ساهمت تلك الحرب في تعميقها، وتصاعد المقاومة العربية لقوى الاحتلال الصهيونية، من ناحية أخرى، أدت، في مجملها، إلى بلورة حدود قدرة إسرائيل على استخدام القوة العسكرية الضاربة لتحقيق أهداف سياسية محدودة. ولذلك أصبح من الواضح أن كسب معركة عسكرية لا يضمن، بالضرورة، كسب معركة سياسية، وأن من الممكن أن يتحول النصر العسكري الكاسح إلى هزيمة سياسية وإلى أزمات اقتصادية واجتماعية ذات أبعاد استراتيجية. وهكذا أثبتت تجربة لبنان، مجدداً، كما أثبتت حرب حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧، أنه لن يكون باستطاعة إسرائيل، حالياً، أو مستقبلاً، استخدام الجيش الإسرائيلي لفرض الحل السياسي الذي تريده على الأطراف العربية.

ودون الدخول في شرح تفاصيل الطول السلمية والطول العسكرية، الممكنة أو المحتملة، نقول، باختصار، أن الظروف الراهنة، شأنها في ذلك شأن الظروف السابقة، لا توفر الدواعي الكافية لحمل التحالف الإسرائيلي - الأمريكي على البحث، جدياً، عن معادلة مقبولة ومعقولة - مبادلة الأرض بالسلام، مع العرب، كما أنه لن يكون باستطاعة ذلك التحالف فرض الحل الذي يريده على الدول والشعوب العربية مهما تعاطفت قوة إسرائيل العسكرية، ومهما تكررت حالات استخدام هذه القوة. ولذا، فإن حل القضية الفلسطينية وإنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي لن يتحققا على الاغلب إلا من خلال حدوث واحد من الاحتمالين التاليين:

١ - نجاح الجانب العربي في أن يُنزل بإسرائيل هزيمة عسكرية كاسحة، على أرض المعركة، بغض النظر عن طبيعة ومدى الدعم الأمريكي لها.

٢ - أو أحساس التحالف الإسرائيلي - الأمريكي، في مرحلة مقبلة من مراحل الصراع العربي - الإسرائيلي، بأن حقائق الواقع في تلك المرحلة وقواد الفاعلة لم تعد تُخدم المصالح الأمريكية - الإسرائيلية المشتركة، وأن متطلبات الحفاظ على تلك المصالح أصبحت تقتضي القبول بمبدأ «مبادلة الأرض بالسلام».

ولما كانت الاستراتيجية العسكرية في غالبية البلاد العربية هي استراتيجية قطرية دفاعية، وأن أميركا ما تزال تتمسك بدعمها الكامل وحمايتها الشاملة للكيان الصهيوني، فإن من المتشكوك فيه - في ظل مثل هذه الظروف - قيام القوة العسكرية العربية بالتوجه إلى تحرير